

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ وعمارات حراماً عليها أشد الحرص ، فكانوا أحوج شيء إلى الماء ، وكانوا مدلين بما أوتوا من هذه القوة والبطش والبأس مهئين في كل ناحية . وقيل : أراد القوة في المال ، وقيل : في النكاح . قيل : وحبس عنهم المطر ثلاث سنين ، وعقمت أرحام نسائهم . وقد انتزع الحسن بن علي رضي الله عنه من هذا ومن قوله : ويمدكم بأموال وبنين ، أن كثرة الاستغفار قد يجعله سبباً لكثرة الولد . وأجاب من سأله وأخبره أنه ذو مال ولا يولد له بالاستغفار ، فأكثر من ذلك فولد له عشر سنين . وروى أبو صالح عن ابن عباس في قوله : ويزدكم قوة إلى قوتكم ، أنه الولد وولد الولد . وقال مجاهد وابن زيد : في الجسم والبأس ، وقال الضحاك : خصباً إلى خصبكم ، وقيل : نعمة إلى نعمته الأولى عليكم ، وقيل : قوة في إيمانكم إلى قوة في أبدانكم . .

{ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُذِّبْنَا وَكُلُّنَا لَكَ عِتْدٌ وَإِن كُنَّا لَمُبِينِينَ * وَإِن نَّسْتَعِذَّكَ مِنْ أَشَدِّ عِتْدِنَا وَأَبْنَاءِنَا يُنظِرُونَ * وَإِن نَّسْتَعِذَّكَ مِنْ أَشَدِّ عِتْدِنَا وَأَبْنَاءِنَا يُنظِرُونَ * وَإِن نَّسْتَعِذَّكَ مِنْ أَشَدِّ عِتْدِنَا وَأَبْنَاءِنَا يُنظِرُونَ * وَإِن نَّسْتَعِذَّكَ مِنْ أَشَدِّ عِتْدِنَا وَأَبْنَاءِنَا يُنظِرُونَ * }
إلا : اعترأك بعض آلهمته بسوء قال : إنني أشهدك الله .
وأشهدكوا : أني برأه مسمماً تشركون * من دونهم فكيدوني جميعاً
ثم لا تنظرون * إنني توكلات على الله ربّي وربكم مسمماً من
دابة إلا هو أخذ بناصيتهها إن ربّي على صراط مستقيم *
فإن : بينة أو بحجة واضحة تدل على صدقك ، وقد كذبوا في ذلك وبهتوه كما كذبت قریش
في قولهم : { لاؤلا أنزل علىه آية من ربّه } وقد جاءهم بآيات كثيرة ،
أو لعمائمهم عن الحق وعدم نظرهم في الآيات اعتقدوا ما هو آية ليس بآية فقالوا : ما جئنا
ببينة تلجئنا إلى الإيمان ، وإلا فهو وغيره من الأنبياء لهم معجزات وإن لم يعين لنا
بعضها . ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (: { مسمماً من ربّي إلا *
وقد * أوتيت من الآيات ما * مثله * من * علىه * البشائر } وعن
في عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا ، كأنه قيل : صادرين عن قولك ، قاله
الزمخشري . وقيل : عن التعليل كقوله تعالى : { إلا عن موعدة وعدّه
إياه } فتعلق بتاركي ، كأنه قيل لقولك ، وقد أشار إلى التعليل والسبب فيها ابن
عطية ، فقال : أي لا يكون قولك سبباً لتركنا ، إذ هو مجرد عن آية ، والجملة بعدها تأكيد
وتقنيط له من دخولهم في دينه ، ثم نسبوا ما صدر منه من دعائهم إلى الله وإفراده بالألوهية
إلى الخبل والجنون ، وأن ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبها وحرص على تركها ودعا

إلى ترك عبادتها ، فجعلته يتكلم مكافأة بما يتكلم به المجانين ، كما قالت قريش : معلم مجنون { أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ } واعتراك جملة محكية بنقول ، فهي في موضع المفعول ، ودلت على بله شديد وجهل مفرط ، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم . وقول هود لهم في جواب ذلك : إني أشهد □ إلى آخره ، حيث تبرأ من آلهتهم ، وحرصهم كلهم مع انفراده وحده على كيده بما يشاؤون ، وعدم تأخره من أعظم الآيات على صدقه وثقته بموعد ربه من النصر له ، والتأييد والعصمة من أن ينالوه بمكره ، هذا وهم حريصون على قتله يرمونه عن قوس واحدة . ومثله قول نوح لقومه : { ثُمَّ * افْعُزُواْ إِلَىَّ - وَلاَ تَنْظِرُون } وأكد براءته من آلهتهم وشركهم ، ووفقها بما جرت عليه عادة الناس من توثيقهم الأمر بشهادة □ وشهادة العباد . .

قال الزمخشري : (فإن قلت) : هلا قيل : إني أشهد □ وأشهدكم (قلت) : لأنَّ إشهد □ على البراءة من الشرك إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد ، وأما إشهدهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب ، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة انتهى . وإني بريء تنازع فيه أشهد واشهدوا ، وقد يتنازع المختلفان في التعدي الاسم الذي يكون صالحاً ، لأن يعملوا فيه تقول أعطيت زيداً ووهبت لعمر ديناراً ، كما يتنازع اللازم والمتعدي نحو : قام وضربت زيدا . وما في ما تشركون موصولة ، إما مصدرية ، وإما بمعنى الذي أي : بريء من إشراككم آلهة من دونه ، أو